

التباين بين الاستحسان والاستهجان
 (مريم بنت عمران - عليها السلام - أنموذجاً)

"The Contrast between Approval and Disapproval (Maryam,
 daughter of Imran, Peace be upon her, as a Model)"

م. م. هند صالح حمودي 1

Hind.S@coadec.uobaghdad.edu.iq

الملخص :

ورقة البحث تناولت العادات ودورها في الحياة اليومية، أظهر البحث كيف يمكن للعادات أن تكون إيجابية أو سلبية وكيف يمكن استلهام الصفات الحميدة من الشخصيات التاريخية. أبرزت مريم بنت عمران كنموذج للتصرف الصالح والتزام القيم الإنسانية، بينما أظهرت مواقفها القوة والإيمان في مواجهة التحديات. كما استعرضت كيفية استجابتها للأمر الإلهي وتجاوزها للتحديات بحكمة وصبر. وختمت الورقة بتأكيد أهمية العمل بالأخلاق والتقاليد الدينية في بناء المجتمعات السليمة والمتقدمة، وكانت وقفاً على سدانة المعبد، وخدمته، ومن الملفت للنظر عندما لم تتعرف هذه السيدة العفيفة على جبريل (عليه السلام)، وخشيت منه على نفسها نكرته، وخوفته بالله (جل جلاله) ودرأت المخاوف بالأسهل فالأسهل، وهذه عادة اجتماعية، دينية مهمة، معروفة فيما سبق، وفي الوقت الحالي، وبرهن الله (جل جلاله) في محكم التنزيل مقولتها حيث قال: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنَّ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ مريم: 18.

1 - كلية الإدارة والاقتصاد - جامعة بغداد - العراق

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أنموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

وبعد تنفيذ الملك للرسالة الربانية المعروفة بهبة الله عيسى . عليه السلام . لها، فأمرها بالقول إذا لقيت القوم ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: سكوتاً، ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ مريم:26، وهذا على وجه الإشارة وأمره ذلك بسبب علمه السابق بأحوال المجتمع الإنساني، وحقيقة البشر، وعاداتهم الاجتماعية في كونهم يقدمون الإساء، والشر، والبهتان، على حسن الظن، والاستماع للمرأة، ثم بين البحث رأي الدين الاسلامي في العادات عامة، والربط بين الماضي، والحاضر، وأشكالية البحث هي كون هذه العادات مستمرة من جيل إلى جيل، واستوجبت العلاج، ولا يكون ذلك إلا بالرجوع للتعاليم السماوية، والقيم الأخلاقية، والعمل بوصية خير الخلق النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، حيث قال: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا).

الكلمات المفتاحية:

التباين، العادة في القرآن، ما استحسن واستهجن من عادات القوم، موقف الدين من العادات، العادات الاجتماعية والمرأة.

Abstract

The research paper titled "Customs between Approval and Disapproval (Mary, Daughter of Imran - Peace be upon her - as a Model)" delves into the significance of customs in daily life. It explores how customs can be either positive or negative and how positive traits can be drawn from historical figures. Mary, Daughter of Imran, is highlighted as a model of righteous behavior and commitment to human values, demonstrating strength and faith in facing challenges. The paper also illustrates her response to divine commandments and her ability to overcome challenges with wisdom and patience. It concludes by emphasizing the importance of adhering to ethical and religious traditions in building healthy and advanced societies. Mary's obedience to divine instructions, as evidenced in the Quranic verses (e.g., Maryam:18 and Maryam:26), underscores the understanding of societal dynamics and human behavior, indicating the necessity of resorting to divine teachings and moral values for addressing persistent customs across generations. Additionally, it reflects on the Islamic perspective on customs and their continuity through generations, advocating for adherence to the ethical legacy of Prophet Muhammad (peace be upon him) as a remedy for societal challenges.

Keywords: Habit, Habit in the Quran, What is admired and criticized of the people's habits, Religious stance on habits, Social habits and wome

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أُنموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعتبر العادات جزءاً لا يتجزأ من حياة البشرية، فهي تشكل الأنماط السلوكية والثقافية التي تتنوع وتتطور مع تغير الزمان والمكان. وفي هذا السياق، تتحول العادات إلى محور دراسة واهتمام للعديد من الباحثين، حيث يسعون إلى فهم ديناميكياتها وتأثيراتها على المجتمع والفرد.

تتحدث هذه الدراسة عن العادة بين الاستحسان والاستهجان، وتأخذ مريم بنت عمران - عليها السلام - كنموذجاً لفهم هذا الجانب من العادات. إن اختيار مريم بنت عمران ليس مجرد صدفة، بل يعكس قيمة تاريخية ودينية كبيرة، حيث تظهر قصتها في القرآن الكريم كنموذج للتصدي للظلم والمحافظة على القيم الأخلاقية.

يهدف هذا البحث إلى استعراض العادات التي استحسنت واستهجنت في حياة مريم بنت عمران، وكيف تصدت لهذه العادات وفقاً لتعاليمها الدينية والقيم الأخلاقية. ومن خلال تحليل قصتها، سنسلط الضوء على الطريقة التي استخدمتها مريم لمواجهة التحديات والمواقف الاجتماعية بناءً على إيمانها القوي وقدرتها على التصدي للمعتريين.

هذا وسيتم خلال البحث استعراض القيم الأخلاقية والدينية التي تبرز من خلال قصة مريم بنت عمران، والتي تعكس القدرة على التحلي بالصبر والاحتساب في مواجهة التحديات، فضلاً عن قدرتها على الاعتزاز بقيمها الدينية والثقافية رغم التحديات التي واجهتها.

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أُنموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

بهذا، يأمل البحث في تسليط الضوء على أهمية فهم العادات وتأثيرها على حياة الفرد والمجتمع، وكيفية التصدي للعادات المستهجنة بموجب القيم والمبادئ الأخلاقية الصحيحة.

العرض

فيما يلي تبسيط مصطلح العادة

يجب التمييز بين العرف والعادة حيث أن "العرف: هُوَ مَا اسْتَقَرَّ فِي النُّفُوسِ مِنْ جِهَةِ شَهَادَاتِ الْعُقُولِ وَتَلَقَّنُهُ الطَّبَاعُ السَّلِيمَةَ بِالْقَبُولِ، وَالْعَادَةُ: مَا اسْتَمَرُوا عَلَيْهِ عِنْدَ حُكْمِ الْعُقُولِ، وَعَادُوا لَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى" (2) ووفقاً لذلك يمكن القول بأن العادة "هي الأمر المتكرر سواء كان لجماعة أم لفرد" (3).

كما أن البعض يعتبر العادة عنصراً متأسلاً في ذات الإنسان، يعود إليها مهما حصل، بل ومهما واجه من تغييرات فكرية كما يقول الشاعر:

كل امرئ راجع يوماً لشيئته * * وإن تخلق أخلاقاً إلى حين (4)

² الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)

³ شرح القواعد السعدية، المؤلف: عبد المحسن بن عبد الله الزامل، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عبد الرحمن بن سليمان العبيد، أيمن بن سعود العنقري، الناشر: دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ص 96.

⁴ الحماسة للبحراني، المؤلف: أبو عبادة الوليد بن عبيد البحراني (ت ٢٨٤هـ)، المحقق: د. محمد إبراهيم خور - أحمد محمد عبيد الناشر: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، عام النشر: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص 442.

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أنموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

يُظهر القرآن استحسان اعتزال مريم أثناء العبادة وتفانيها في خدمة الله. على الجانب الآخر، يُظهر القرآن استهجان تهم الباطل والتشهير بمريم بنت عمران بغير حق، ولكن مريم تظهر براءتها وتقديرها للأمر الإلهي بالاعتزال والصمت في وجه الاتهامات. من المواضيع المهمة في ما ورد في سورة مريم هو تناولها لعادات المجتمع بصورة موجزة مختصرة والتي جاءت في نفس الوقت مانحة للتصور الكامل عن المشهد الواقع في تلك الأثناء، وما يحصل من اختلافات واضطرابات في الشخوص والكيانات استجابة للأحداث الواقعة.

فوجد بدايةً حين اعتزلت مريم ابنه عمران (عليها السلام) قومها للعبادة في المحراب، حيث يعتبر هذا الابتعاد عن القوم أثناء العبادة من عادات العباد في كل الأزمنة، وهي سنة مطلقة في كل الأزمنة، فقد كانت العابدة الطاهرة مريم ابنة عمران وفقاً على سدانة المعبد، وخدمته، والعبادة فيه، فلذلك قد تتحت من الناس⁽⁶⁾ إذ نذرتها والدتها لبيت المقدس، وذلك ما حكاها لنا ربنا . جل جلاله . في قوله تعالى: ﴿ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ﴾ مريم:16.

ثم حيث كانت في محرابها تتعبد إذ جاءها جبريل (عليه السلام)، وكما هو معلوم ما ورد في الآيات من كونها لم تتعرف عليه، وعلى حقيقة كونه ملك، وخافت هذه العفيفة الطاهرة على نفسها منه، ذكرته بتقوى الله، وهنا نجد لفظة مهمة في عادات التخويف، والتذكير للشخص الذي يُخشى منه، أن يذكر ويخوف بالله عز وجل أولاً، ويكون الدفع بالأسهل فالأسهل⁽⁷⁾، فهذه عادة اجتماعية دينية مهمة، ومعروفة، ومتداولة في ذلك

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أُنموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

الزمن، وكذا في وقتنا الحالي، وكما ورد في محكم التنزيل: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ مريم:18.

ولما قدر الله . عز وجل . لهذا الولد أن يولد بغير أب علامة للناس على قدرة الله، وأن ذلك هين سهل عليه سبحانه، فلا يعجزه شيء عن تحقيق ما قد سبقت به حكمته، وكتابته في اللوح المحفوظ⁽⁸⁾ شق ذلك على مريم، وخشيت من كلام الناس عنها إن رآوا معها ولداً، حتى تمننت الموت، وتمنت لو أنها لم تخلق، ولم تك شيئاً، فقالت: " ﴿يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ ، ذكر أنها قالت ذلك في حال الطلق استحياء من الناس"⁽⁹⁾ لأنها كانت على علم بالعادات المتداولة، وسوء ظن المجتمع، والبهتان، والغيبة، وسوء الخلق، والتكذيب لما يرد لهم من أخبار، وأقوال، ولو كان ذلك ممن هو مشهور بالصلاح، وحسن الخلق، والدين، وكثرة العبادة، وتقوى الله.

ولما علم الملك بأحوال المجتمع الإنساني، وحقيقة البشر، وعاداتهم الاجتماعية في كونهم يقدمون الإساءة والشر، والبهتان على حسن الظن، والاستماع للمرأة " أمرها أنها إذا رأت أحداً من البشر، أن تقول على وجه الإشارة: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: سكوتاً ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْ سِيًّا﴾ مريم:26 أي: لا تخاطبهم بكلام، لتستريح من قولهم وكلامهم. وكان معروفاً عندهم أن السكوت من العبادات المشروعة، وإنما لم تؤمر بخطابهم في نفي ذلك عن نفسها لأن الناس لا يصدقونها، ولا فيه فائدة"⁽¹⁰⁾ فإنها لو حاولت فعل ذلك لم ينفعها لأن هؤلاء القوم سيظلون مقيمين على أفكارهم متعصبين لعاداتهم، ولكي تثبت براءتها من خلال تكلم عيسى بالمهد بدلاً عنها، وإسكاته لكل ما يحيط بها من نظرة مجتمعية، وعادات وضعية، وأفكار شيطانية خبيثة.

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أ نموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

وفعلًا كان قد حصل ما حكاها لها الملك، حينما أتت هذه السيدة الطاهرة، المترتبة في بيت نبوة إلى قومها حاملة عيسى (عليه السلام) مطمئنة الجانب، كيف لا، وهي قد وثقت بالوعد الإلهي لها بإثبات برأتها لقومها وكان أول حال القوم عند رؤيتها قادمة إليهم حاملة لعيسى (عليه السلام) ما ورد من قولهم: ﴿... قَالُوا يَمْرِيْمٌ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَاأَحْتَّ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمًّا بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ مريم: 27-28 نلاحظ هنا كيف أوجز القرآن الكريم حال العادات الاجتماعية، وكيف توجه القوم مباشرة لفكرة التعجب وأن ما جاءت به أمر منكر عظيم لا ينبغي لمثلها أن تأتيه، إذ لم يكن والدك زناة، والمعنى في نفي الزنا عن أبايها كونه تعريضاً بزناها⁽¹¹⁾، ونلاحظ أن كل هذا الكلام الذي حكاها القوم كان قبل أن يسمعوا منها أي كلام بل، وقبل أن يسألوها عما جرى لها، وهذه من العادات الاجتماعية السلبية المتوطنة في كثير من الشعوب وهي الحكم بالأحكام الباطلة قبل الاستماع من جانب الشخص، ثم فهمه، ومراعاة استيعاب موقف كل الأطراف قبل إصدار الأحكام، وخصوصاً في مسألة الشرف، والعفة التي هي نقطة أساسية، ومؤثرة في حياة الشخص، وصورته في المجتمع، ومع ذلك نجد الكثير من يستهين بهذه المسألة، ويتسرع في إطلاق الأحكام، بل والتعريض بشخص بريئة صالحة، غافلة، واتهامها بسبب التفكير الغير قويم وسرعه اتخاذ القرارات، وهذا ما حصل مع مريم ابنة عمران (عليها السلام).

ولله الحمد، والمنة أن سخر لمريم (عليه السلام) من ينطق ببرائتها، عيسى (عليه السلام) معجزة متحدثة عن حاله، وحالها، خلداهما القرآن الكريم، وستبقى توطر عفتها، وولادته من غير أب في سطور صامدة مدى التاريخ، فإنها "لَمَّا أُسْكِنَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - نموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

لسانها الناطق أنطق الله اللسان الساكت" (12) فقال عيسى (عليه السلام) رداً عليهم ، إسكات لهم ، ناصراً لوالدته العفيفة الصالحة: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ﴾ مريم:33.30.

ومن الملاحظ هنا في سورة مريم الإيجاز اللغوي مع البيان، والذي تأتى من خلال التناسب اللفظي والتناسق، والانسجام، الذي كون لنا من خلال كلمات قليلة جانباً حسياً حياً، لقارئ القرآن، ولسامعه عن العادات، والأفكار التي واجهتها مريم وابنها عيسى (عليهما السلام)، ونلاحظ أيضاً كيف أدت الفاصلة القرآنية دوراً مميزاً ومؤثراً في زيادة جمالية السياق القرآن، وقوة التصوير للأحداث الواقعة، حتى كأن كل كلمة كانت عنصراً أساسياً لتنسيق تدفق الحدث، وبناء التصور الكامل لكل الجوانب العملية، والقولية المحيطة بهما، بحيث أن قارئ الآيات يحصل مع نهاية كل آية، وبداية الأخرى تكملة لنسج مميز تتوالى فيه الصور، وتتركب لخلق مشهد غاية بالبلاغة في وصف أهم الأحداث بشكل وافي مع احتفاظه بعنصر الإيجاز.

ما استحسن واستهجن من عادات القوم

ومن الجدير بالإشارة إليه أن العادات التي أحاطت بمريم ابنه عمران لم تكن سلبية بحتة بل تعددت جوانبها بين حسن، وقبيح مستهجن، فإن ما واجهته بداية من كفالة زكريا (عليه السلام) لها، وكونها تحت رعايته، وقيامه على حوائجها لقوله تعالى: ﴿... وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا...﴾ آل عمران:37 ، بل وتنافسهم في الكفالة كما جاء في قول

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أُنموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

الرب - جل جلاله- : ﴿ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ آل عمران: 44 "قيل : الأقسام التي كانوا يكتبون بها التوراة؛ اقترعوا بها على كفالة مريم، حرصاً عليها وتنافساً في كفالتها" (12) فيتبين أن الكفالة من العادات الاجتماعية الحسنة المعروفة عندهم، والتي أخذت موقعاً، واهتماماً جاداً من الصالحين والأخيار في زمانهم.

ومن العادات الاجتماعية الحسنة التي نتجت لنا من الاطلاع على القصة هي عادة الصبر عند مريم (عليها السلام)، والتي شملت كل جوانب حياتها منها ما كان من سلوك مريم (عليها السلام) من صبر على العبادة في بيت المقدس، وصبر على أوجاع حملها، وولادتها، وصبر على أقوال الناس فيها عندما أتتهم حامله لعيسى (عليه السلام)، وما لاقتة من أذى جسيم منهم.

ومما استحسنت كذلك من العادات طريقة توجيهها لعيسى (عليه السلام) فلم يكن جباراً شقيماً، بل وظل صابراً مع أمه على أذى القوم، محتسباً الأجر على الله، ذاكراً فضل الله وكرمه عليه في كل حياته، حتى أكرمه الله بتعليمه الكتاب، والحكمة، والتوراة، والإنجيل، فبدأ في رسالة النبوة والصبر الأعظم الذي لازمها.

ويكاد لا يخلو مجتمع من عادات اجتماعية سيئة، قبيحة، ومنكرة، فما واجهته مريم (عليها السلام) من قومها من تعيير، واتهام بالزنى، ومن تكذيب، وإصرار على الرأي، وسوء ظن، بالرغم من وجود الدليل على أن عيسى (عليه السلام) ليس بطفل عادي، وإنما معجزة إلهية ناطقة، مع ذلك يستمر الكثير من ذوي التوجهات الباطلة، والفكر المعادي، حتى في الوقت الحاضر باتهام هذه السيدة العفيفة بأن ابنها عيسى (عليه السلام) هو ولد ليوسف النجار، وقد كذبوا بقولهم ذاك على هذه السيدة الجليلة، فعليهم

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أمودجا")

م. م. هند صالح حمودي

من الله ما يستحقون من لعن الله، وسخطه، وعذابه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 23 .
ولكن السؤال الذي يخطر في ذهن الباحث حول العادات الاجتماعية بشكل عام والتي تخص المرأة بشكل خاص ما هو الرأي الدقيق للدين الاسلامي الحنيف بالعادات والتقاليد؟ وما الأدلة؟

والإجابة عن هذه الأسئلة ستكون في موضوعنا التالي:

وجهة نظر الدين الاسلامي عن العادات الاجتماعية

إن من نعم الله علينا أن جعل الدين الاسلامي دين توسط، واعتدال، تروح إليه النفوس السليمة، ويقرب من إدراك الفطر النقية، وإن العادات الاجتماعية تتباين في أساس تكوينها فبعض العادات تكونت بسبب فطر نقية أدركت أفكار صحيحة متنوعة، فأدرجتها كعادات لها، ونشرتها للغير فكانت عادات سليمة ذات تأثيرات إيجابية، ومتناسبة مع أبناء عصرها، وربما قد تكون استمرت لعصور أخرى فكانت بين مستحسن ومستهجن بحسب مناسبتها لذلك العصر من عدمها، والبعض الآخر من العادات ظهرت بسبب دافع القمع والسيطرة، وازهار البطش، والقوة للآخرين، وكثير منها استمرت برغم استهجان المعاصرين لها والعصور التي تلتها بسبب جانب العنف، والإساءة التي اتسمت بها.

وإن ديننا الاسلامي نزلت تعاليمه تحفظ حقوق الفرد، والمجتمع، وكلّ بما يناسبه، فلما كانت بعض العادات حسنة وأخرى قبيحة كانت "تخضع عند الفقهاء رحمهم الله تعالى لميزان الشريعة فما قبلته الشريعة حسب مفاهيمها ومقاصدها فهو عادة حسنة

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أمودجا")

م. م. هند صالح حمودي

وعرف حسن، وما أبطلته فهو عادة قبيحة وعرف قبيح، تماماً كما نقول فيما يظنه الناس مصلحة، فنقول هذه مصلحة لأن الشريعة حكمت بذلك، وهذه ليست مصلحة لأن الشريعة حكمت بأنها مفسدة، وهذا هو القدر المشترك بين المصالح والعادات والأعراف" (14).

فبهذا يتبين لنا أن ليس كل العادات مقبولة في الدين الاسلامي، وكذا ليس جميعها مرفوضة، وإنما هي ببساطة تخضع للقاعدة الفقهية التي ذكرها الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: " والأصل في عاداتنا الإباحة حتى يجيء صارف الإباحة" (15).

ومن الجدير بالذكر أن العرف، والعادة تمتلك من المكانة، والقوة في نفوس الناس ما يجعل انتزاعها صعب، وشبه مستحيل أحياناً، إلا عن طريق المواصلة، والمداومة، والجهود الحثيثة، وقبل كل شيء لا بد من توفيق الله . عز وجل . للعامل على ازالتها، وإرادته، وإخلاصه لله في طلب التغيير من المغير لا من الأسباب، حتى أن الأنبياء، والصالحين، والصالحين قد واجهوا من العنف، والمشقة، والصعاب ما الله به عليم في طريقهم لتصحيح العادات، والمعتقدات الاجتماعية، والفكرية، والدينية المستهجنة، ما أثقل كواهلهم فكانوا، وما زالوا يصابرون، ويرابطون، ويستمرون بالمجاهدة حتى يكرمهم الله بالتبثيت ويعينهم على أداء مهامهم، ويكتب لهم -جل جلاله- بمنه، وكرمه الثواب العظيم، والتمكين في الدين.

ومن الأدلة الواردة في أن اتباع العادات بشكل أعمى هي أمر مستهجن في الدين الاسلامي، وفي كل الشرائع الإلهية التي جاء بها الرسل والأنبياء ما نوره . على سبيل المثال وليس الحصر . ما كان يقوم به الكفرة والضالين عند تكذيب المصلحين،

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أُنموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

والأنبياء، من إخبارهم أن سبب عدم متابعتهم منهج الصلاح هو اتباعهم للعادات، والتقاليد، وأفكار الآباء، والأجداد، كما ورد في محكم التنزيل: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾ الزخرف:22.

ولابد من التنويه أن العادات التي ليست فيها مخالفة للشرع الاسلامي الحنيف، فإنه لا ينبغي للمسلم مخالفتها طلباً للشهرة، أو للتميز عن أبناء شعبه، فيكون حاملاً لهم على غيبته، معيناً لهم على ذلك، مشاركاً في الإثم، وأحياناً يخص الإنسان مخالفة أبناء بلده في لباسهم من دون سبب، فيكون داخلاً في أثم لباس الشهرة الذي أورده الحديث النبوي الشريف: "مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ، أَلْبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ"⁽¹⁶⁾.

عادات اجتماعية حول المرأة لم تتبدل من عهد مريم ابنة عمران إلى وقتنا الحالي

من العادات الاجتماعية التي تتسم بها المرأة، والتي مازال الأخذ بها مستمراً حتى وقتنا الحالي هي عادة الصبر عند النساء، فكثير من النساء تمتلك سمة الصبر كما اتسمت بها مريم ابنة عمران في كل حياتها، فنجد المرأة في الوقت الحاضر تصبر على الظروف المختلفة، في العمل، والمنزل، والدراسة، والأقارب، وتتجنب مختلف المشاكل، وتتغلب على الصعاب بصبرها، حتى أن بعض النساء . وبالرغم من الرقة الفطرية الموجودة في المرأة . تصبر صبراً لا يصبره أشداء الرجال، بل وحكمائهم .

أما العادات الاجتماعية المتعلقة بالمرأة، والتي هي من فعل المجتمع هي عادة البهتان، وسوء الظن من غير قرينة، والتي عانت منها مريم (عليها السلام) في حياتها كثيراً إذ أن وضعت عيسى (عليه السلام)، والتي تعاني منها بالفعل كثير من النساء في العصر الحالي، كما نرى الحال الحاصل بمجرد ملاحظة امرأة تسير مع أي رجل

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أ نموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

نجد أن كثير من الناس توجه أصابع الاتهام لها فهذا الذي يتهمها بشرفها، والآخر الذي ينظر لها باحتقار واستصغار، وقلة من الناس من تحاول إحسان الظن فيها ، والتفكير في أنه وبكل بساطة أحد محارمها، بل ونجد الموضوع يتوسع عند بعض المؤمنين بالعادات الاجتماعية القمعية فما يلاحظ أحد نظر إلى أحد نسائه إلا غضب عليها، ونهرها، وشك بها، واتهمها والطرف الناظر، حتى أن البعض يقيم مشاجرات حاسمة في علاقاته مبنية على أوهامه الشخصية.

وتعتبر العادات السلبية التي سبق ذكرها هي آتية من ضعف في مراعاة الجانب النفسي، والعاطفي في المرأة، والتي هي . وللأسف . من العادات المتوطنة في كثير من المجتمعات الشرقية، والغربية، فنجد البعض يعامل المرأة الموجودة في حياته كأداة فلا يراعي مشاعرها، ولا يسمع لها عندما تتحدث، ولا يحسن معاشرتها، ويبخل عليها بكل دعم مادي، ونفسي، ويعاملها على أنها رجل بل وأعتى الرجال، فيرمى أكثر المسؤوليات على عاتقها، ولا يعينها في شؤون البيت، أو شؤونها الشخصية، ومستلزماتها، ولا يذكرها بخير في غيابها، بل والبعض يشتمها، ويعنفها كلما تسنت له الفرصة في سبيل الإحساس بالقوة، وإثبات الشخصية، والحضور، والسيطرة بين قرنائها، ثم نتيجة لذلك تقسو المرأة كرد فعل لما تعانيه من قسوة فنقل أنوثتها، وتبتهت ابتسامتها، وبريق لطفها، وحنوها، فيتم الاعتراض على تبدل مشاعرها، وقد تنتج بعض المشاكل في الشخصية عند الكثير من النساء بعد هذه التجارب القاسية، والمؤلمة التي مررن منها، والتي تتطلب علاجاً فعلياً للتعافي منها، فقد تصاب بالنفور من كل الرجال، وتشعر أنهم مجرد عالة على حياتها أنها ليست بحاجة لهم، وتصل لمرحلة إصابتها بمتلازمة

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - نموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

الكره تجاه الرجال، أو ما يسمى (misandrist) أو قد تعاني من خوف، ورهبة منهم، وتتطور إلى ما يدعى بمتلازمة رهاب الذكور، والتي تدعى أيضاً (أندروفوبيا androphobia) فالمرأة التي عانت من تجربة سيئة مع الذكور في صغرها قد تصاب بهذه المتلازمة، وتعاني من أعراض الفوبيا أحياناً بمجرد رؤيتها لصورة لأي رجل، أو تفكيرها به، تبلغ نسبة النساء البالغات التي تعاني من هذه الفوبيا في أمريكا 12%، وهي ليست بنسبة يستهان بها، كما أن كل 1 من 5 مراهقات تعاني من أعراض هذه الفوبيا في لحظات معينة (17).

ومن العادات الاجتماعية الملحوظة في العصر الحديث، والتي كانت لها جذور في العصور السابقة ولكنها تعمقت، وترسخت، وتزايدت مع ضيق الوقت، وضغوطات الحياة، وصعوبة كسب المعيشة، وقلة الدعم العاطفي لمكونات المجتمع، نتيجة لذلك تكونت عادة الضغط المبالغ على كل الأفراد وعلى وجه الخصوص النساء لمجاراة الحياة، وتقليل الضغط الحاصل على الآخر، وكذلك عادة تفريغ كل الحزن والتحمل، والانزعاج على النساء، بسبب عدم القدرة على تفريغ ذلك التحامل، والغضب على الشخص المنشود، فهذه المسألة بوجهيها تسلط ضغطاً، ووجعاً على المرأة، قد يفوق قدرة احتمال المرأة، ويؤدي بها إلى الانهيار، أو لأمراض مختلفة. عافانا الله وإياكم.

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أنموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

نتائج البحث

نتائج البحث حول " التباين بين الاستحسان والاستهجان (مريم بنت عمران - عليها السلام - أنموذجا)" تشير إلى:

1. تأكيد القرآن الكريم على أهمية العادات في حياة الأفراد والمجتمعات، حيث يظهر الاستحسان للعادات الصالحة مثل العبادة والتقوى والصبر.
2. إبراز الاستهجان للثمة الباطلة والانتهاكات غير المبررة التي وجهت لمريم بنت عمران، مما يظهر التزامها بالبراءة والصمت تجاهها.
3. استعراض مواقف مريم بنت عمران كنموذج يُظهر استحسان بعض العادات واستهجان بعض الأفعال، مما يعكس تعقيد العادات البشرية وتأثيرها على سلوك الأفراد.
4. توجيه توصيات لفهم أهمية العادات الصالحة وضرورة تجنب الاستهجان للآخرين بناءً على افتراضات خاطئة، مع التشديد على أهمية الصبر والاعتزال عند مواجهة التحديات.
5. دعوة إلى التأمل في موقف مريم بنت عمران كنموذج للتعامل مع الاستحسان والاستهجان في الحياة اليومية، والسعي لتعزيز العادات الإيجابية وتجنب المواقف التي قد تثير الاستهجان بدون أساس.

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أنموذجا")

م. م. هند صالح حمودي

توصيات البحث

بناءً على نتائج البحث يمكن تقديم العديد من التوصيات، ومنها:

1. تعزيز الوعي بأهمية العادات الصالحة: يجب تشجيع الأفراد والمجتمعات على

تعزيز العادات الصالحة مثل العبادة، والتقوى، والصبر، والتسامح، والعدالة.

2. الحذر من الاستهجان السريع: ينبغي على الأفراد أن يكونوا حذرين في

الاستهجان والاتهام بناءً على افتراضات خاطئة أو تصورات مسبقة دون

البحث عن الحقائق.

3. تعزيز قيم الصبر والاعتزال: ينبغي للأفراد أن يتعلموا فن الصبر والاعتزال في

مواجهة التحديات والمواقف الصعبة، مثلما فعلت مريم بنت عمران في قصتها.

4. تشجيع على التأمل والتفكير العميق: يمكن أن يساعد التأمل في قصة مريم

بنت عمران في تعزيز الفهم والتفكير العميق حول دور العادات في حياة الفرد

والمجتمع.

5. تعزيز العدالة ومكافحة التمييز: ينبغي على المجتمعات أن تعمل على تعزيز

العدالة ومكافحة التمييز والتهم المبنية على أساس الجنس أو الدين أو العرق.

باستخدام هذه التوصيات، يمكن للأفراد والمجتمعات تحقيق التوازن بين الاستحسان

والاستهجان في حياتهم، وتعزيز العادات الإيجابية والتصدي للعادات السلبية بشكل

فعال.

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أُنموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

الخاتمة

وختاماً كان لابد من التنويه إلى قيمة، وأهمية المرأة، وذكر تكريم الله . جل وعلا . لها بمختلف أدوارها في المجتمع، واحترام وتقدير العقلاء، وأهل الدين، والفهم لها، ومعارضة الشرع الإلهي، ومن ثم أفكار العقلاء لكل العادات التي تنسج لأهانتها، وأذيتها، والتقليل من احترامها، فهذه مريم (عليها السلام) قد كرمها الله بكونها أمّاً لنبي عظيم من أولي العزم، ويستلزمه برها . كما يستلزم جميع الأبناء البر بوالداتهم . والإحسان إليها، وأن الجنة تحت قدمها، كما كرمها بكونها صديقة، كما ورد في قوله تعالى : ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۗ﴾ المائدة:75، ومنحها البرائة من الزنا ، والإقرار بالطهر، والعفة بآيات ستبقى شامخة، ودالةً على ما كانت عليها من صلاح، وعبادة، وإيمان، وتقوى تُثلى إلى قيام الساعة، حيث جاء في قول الباري . جل شأنه .: ﴿وَأَلَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء:91.

ومن المؤكد أن تكريم المرأة لم يقتصر على دورها كأم فحسب . بالرغم من أن منزلة الأم لا شك من أعظم المنازل .، وإنما كرمها جنسها كله، وبمختلف أدواره، كما ورد عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) (18) ، وغيرها من النصوص الكثيرة التي لا يتسع المجال لذكرها ، ونبذ ديننا الاسلامي الحنيف، وحرَم العادات السيئة المتعلقة بأذية النساء كوأ البنات، وإرث الأبناء زوجات آبائهم مع تركته، وحرَم عقوق الأمهات بل جعله من الكبائر، وجعل أحب الأعمال لله بر الوالدة، كما حرم الديانة وعدم الغيرة على العرض.

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أُنموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

واخيراً، يمكن القول إن دراسة "العادة بين الاستحسان والاستهجان" باعتبار مريم بنت عمران نموذجاً أظهرت لنا أهمية فهم دور العادات في حياة الفرد والمجتمع. من خلال قصتها، نجد أن العادات يمكن أن تكون مصدراً للتأثير الإيجابي أو السلبي على الفرد والمجتمع.

علينا أن نتعلم كيف نستحسن العادات التي تعزز قيم العدالة والتسامح والصبر، ونتجنب الاستهجان السريع والتهم المبنية على الافتراضات. يجب أيضاً علينا أن نتذكر قيمة التأمل والتفكير العميق في حياتنا لنفهم أفضل كيفية تأثير العادات علينا. من خلال تطبيق التوصيات التي تمت مناقشتها، يمكننا جميعاً تحقيق التوازن الصحيح بين الاستحسان والاستهجان، وتعزيز العادات الإيجابية التي تسهم في بناء مجتمعات أكثر تعاطفاً وتفاهماً. إن تذكر قصة مريم بنت عمران يمكن أن يكون إلهاماً دائماً لنا في سعيها لتحقيق الأفضل في حياتنا وفي علاقاتنا مع الآخرين.

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أنموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

المصادر والمراجع

- (1) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ص517.
- (2) شرح القواعد السعدية، المؤلف: عبد المحسن بن عبد الله الزامل، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عبد الرحمن بن سليمان العبيد، أيمن بن سعود العنقري، الناشر: دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ص96.
- (3) الحماسة للبحثري، المؤلف: أبو عبادة الوليد بن عبّيد البُحْثري (ت ٢٨٤ هـ)، المحقق: د. محمد إبراهيم حور - أحمد محمد عبيد الناشر: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، عام النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م ، ص442.
- (4) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، المؤلف: أحمد قبش بن محمد نجيب، ج6، ص284.
- (5) المصدر نفسه: ج 6، ص286.
- (6) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ج11، ص90.

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أنموذجا")

م. م. هند صالح حمودي

- (7) ينظر: تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ج5، ص220.
- (8) ينظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، تصنيف: جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية- الطبعة: الثالثة، ١٤٣٦ هـ، ج1، ص306.
- (9) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠، ج18، ص170.
- (10) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ص492.
- (11) ينظر: التفسير البسيط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨ هـ) المحقق: أصل تحقيقه في رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، ج14، ص239.
- (12) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠ هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أُنموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج2، ص334.

(13) التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ، ج1، ص152.

(14) الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، المؤلف: الدكتور عابد بن محمد السفيناني، أستاذ مساعد بجامعة أم القرى، أصل هذا الكتاب: رسالة دكتوراه في الشريعة الإسلامية فرع الفقه والأصول - كلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠٧ هـ، الناشر: مكتبة المنارة، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص535.

(15) شرح منظومة القواعد الفقهية للسعدي، المؤلف: حمد بن عبد الله بن عبد العزيز الحمد، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ج3، ص9 <http://www.islamweb.net>.

(16) سنن ابن ماجه ت الأرئووط، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ)، المحقق: شعيب الأرئووط - عادل مرشد - محمّد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ج4 ص501.

(17) ينظر : <https://my.clevelandclinic.org/health/diseases/21987-androphobia>

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أنموذجاً")

م. م. هند صالح حمودي

(18) الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع | الصفحة
أو الرقم | 960 : خلاصة حكم المحدث : صحيح | التخریج : أخرجه البخاري
(5186).

(التباين بين الاستحسان والاستهجان "مريم بنت عمران - عليها السلام - أنموذجاً")
م. م. هند صالح حمودي